الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف–المسيلة

مخبر الشعرية الجزائرية

شهادة مشاركة

يشهد السيد مدير مخبر الشعرية الجزائرية بجامعة المسيلة.والسيد عميد كلية الآداب واللغات بجامعة المسيلة أن **الدكتور:محمد سعدون**–جامعة المسيلة،قد شارك في أشغال الملتقى الوطني السادس:**جهود المستشرقين في الدراسات الأدبية واللغوية بين الموضوعية والذاتية**.والمنعقد بتقنية التحاضر عن بعد،من تنظيم مخبر الشعرية الجزائرية بالتعاون مع كلية الآداب واللغات،وذلك يوم:02/مارس/2021م،بمداخلة موسومة بـ:**التفاعل بين الأدب العربي والأدب الروسي.**

المسيلة في:2021/03/02م

عميد الكلية

عميد كلية الآداب و اللغات

عمار بن لقريشي

مدير مخبر الشعرية الجزائرية

أ.د.فتحي بوخالفة

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف – المسيلة

الدكتور محمد سعدون
الرتبة: أستاذ محاضر (أ)
جامعة محمد بوضياف المسيلة

مخبر الشعرية الجزائرية

الملتقى الوطني السادس: جهود المستشرقين في الدراسات الأدبية واللغوية بين الموضوعية والذاتية

التاريخ: 02 مارس 2021

عنوان المداخلة

التفاعل بين الأدب العربي والأدب الروسي

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
مخبر الشعرية الجزائرية
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

الدكتور محمد سعدون
الرتبة: أستاذ محاضر (أ)
جامعة محمد بوضياف المسيلة

الملتقى الوطني: جهود المستشرقين في الدراسات الأدبية واللغوية بين الموضوعية والذاتية

المحور الثاني: جهود المستشرقين في الدراسات الأدبية

عنوان المداخلة: التفاعل بين الأدب العربي والأدب الروسي

ملخص :

كان هناك تفاعل كبير بين الأدب العربي المشرقي والأدب الروسي منذ بداية القرن الثاني عشر الميلادي، حدث احتكاك قوي بين الثقافتين فترجمت أعمال عربية إلى اللغة الروسية، ونقلت أعمال روسية إلى العربية واستمر التلاحم بين الثقافتين إلى الوقت الحاضر، فترجمت روايات لكبار الأدباء الروس إلى العربية ، وأنشئت معاهد ومدارس روسية في البلدان العربية لتعليم اللغة الروسية وتخرج منها أدباء عرب نقلوا الآثار الروسية إلى العربية.

يبين المقال مدى ذلك التفاعل العميق بين الآداب الشرقية والآداب الروسية.

Résumé

Il y'avait une grande intéracture entre la littérature arabe livantine et la littérature russe, depuis le début du douziéme siècle, et de fortes frictions sont produites en russe et les œuvres russe aussi ont été transférés en arabe, et la fécondation croisée entre les deux culture en continué jusqu'à nos jour, et les romans des grands écrivains russes ont été traduits en arabe .

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
مخبر
الشعرية الجزائرية
جامعة محمد

Des instituts et écoles russes ont été créés dans les pays arabes pour enseigner la langue russe, dont les écrivans arabes ont obtenu leurs diplômes, et transféré les autiquités russes en arabe.

L'article montre l'étendu de cette intéraction profonde entre les littératures orientale et russe.

المقدمة:

كانت العلاقة بين العرب وروسيا علاقة لها جذور عميقة وقديمة، حيث كان التواصل بين المشرق العربي وروسيا عن طريق التجارة، وقد وصل العرب المسلمون إلى قلب روسيا ضمن حركة تجارية واسعة.

ولا شك أن المنفذ التجاري قد أدّى إلى تأثر اللغة الروسية ببعض الكلمات العربية، وخاصة المصطلحات الطبية التي نقلها الطبيب الروسي بطرس سيريانين Potros[1] sirianine وأدت الترجمة منذ العهد الأموي والعهد العباسي وخاصة في زمن هارون الرشيد وولده المأمون الذي شجع حركة الترجمة بمنح المترجمين مبالغ مالية كبيرة مقابل الكتب التي يترجمونها.

وقد بدأت الترجمة من الروسية إلى اللغات الأوروبية ابتداء من الربع الأخير من القرن التاسع عشر، حيث بدأت ترجمة رواية" ليف تولستوي" léon tolstoï " الحرب والسلام" إلى الفرنسية، ثم انتشرت الترجمات من اللغات الأوروبية إلى اللغات الأخرى[2].

وقامت روسيا بإنشاء مدارس وثانويات في سوريا وفلسطين ولبنان، وتخرج أدباء عرب من هذه البلدان العربية ومنهم من انتقل للدراسة في روسيا كمخائيل نعيمة وغيره، وبدأت الترجمات من اللغة الأصل "الروسية" إلى العربية، ومن بين المترجمين الكبار

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
مخبر الشعرية الجزائرية
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

سيلم قبعين الذي نقل أعمال تولستوي إلى العربية، وسامي الدروبي، ونسيب عريضة، وعبد المسيح حداد وغيرهم.

كما تأثر الأدباء الروس بالتراث العربي الإسلامي، ونقلوا منه إلى الأدب الروسي كما فعل أليكسندر بوشكين Alexandre Pouchkine في تأثره بألف ليلة وليلة وبسيرة الرسول الكريم كما تأثر ليف تولستوي بالإسلام فكتب عن الرسول، وعن القرآن، وردّ عن المسحين المستشرقين الطاعنين في التاريخ الإسلامي.

وقد وجدت مخطوطة يرجع تاريخها إلى القرن الثاني عشر الميلادي(1113م) مكتوبة باللغة العربية، وهي من أقدم المخطوطات "قصة السنوات العابرة" وتحكي قصة الأمير فلادمير vladmir الذي تسنّم الحكم عام 980م، حيث اعتنق الإسلام ثم ارتد إلى الديانة المسيحية، التي أصبحت هي الديانة الرسمية لروسيا.[3]

الترجمة إلى العربية:

لا شك أن الاتصالات والاحتكاكات بين العرب في جاهليتهم وبين الشعوب الأخرى قد أدى إلى وجود ترجمات وإن كانت ضئيلة في تلك المراحل البدائية، غير أن الترجمة بدأت تأخذ طابعا رسميا محدودا في الدولة الأموية حيث اهتم الأمير خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بحركة الترجمة، ثم توسعت في الدولة العباسية، وأدى محمد علي حاكم مصر دورا هاما في الترجمة، حيث أسس مدرسة الألسن سنة 1835م، وتولى إدارتها رفاعة الطهطاوي.

ومن بين الأعلام الذين أسهموا بكتاباتهم في الترجمة بطرس البستاني الذي قام بترجمة إلياذة هوميروس شعرا من اللغة اليونانية، واشتغل الكثير من الأدباء العرب في الترجمة من بينهم أحمد حسن الزيات، وإبراهيم اليازجي، ومطران خليل مطران، وطه حسين، ومصطفى لطفي المنفلوطي[4] ، وازدهرت الترجمة في القرن العشرين، وتطورت

بشكل ملحوظ، وخاصة من اللغة الفرنسية والإنجليزية، وكانت الألمانية والإسبانية والروسية تترجم من هاتين اللغتين، وذلك بسبب عدم وجود مترجمين من هذه اللغات إلى العربية مباشرة.

ومن ثمة فإن تلك الترجمات كان لها تأثير بالغ في الأوساط العربية الثقافية في تلك الحقبة الزمنية، حيث انفتح العالم العربي على عالم جديد كله غني وثقافة يزخر بشتى أنواع الفنون، وهذا التأثير القوي يرجع إلى روعة الأسلوب الذي كتب به أولئك المترجمون العرب الذين أتقنوا أساليب الترجمة.

وقد اهتمت روسيا بالاستشراق منذ بداية القرن التاسع عشر فأنشت الجامعات الروسية أقساما للغة العربية مثل جامعة فازان وجامعة موسكو وجامعة بطرسبورغ وغيرها.

وكان للقيصر بطرس الأكبر دور في الاستعراب الروسي حيث نسخ تلك الكتابات المحفوظة في بولغار التي اعتنق أهلها الإسلام عام 922م، وقد قام الكاتب كانتيمير cantamer(1716_1723) بتأسيس أول مطبعة بالحرف العربي، وصدرت أول ترجمة للقرآن الكريم باللغة الروسية، كما أنشأ بطرس الأكبر مدارس للترجمة للمستعمرين، وأدخلت اللغة العربية إلى مناهج المدارس الثانوية مثل استراخان، وكان للمستشرقين الروس اليد الطولى في فهم الشرق والإسلام، والعرب وذلك من أجل خدمة السياسة قبل العلم والمناهج التعليمية[5].

ومن بين أهم المترجمين العرب عن اللغة الروسية :

1- **سليم قبعين: (1870-1951)**: تخرج من مدرسة دار المعلمين الروسية بمدينة الناصرة بفلسطين، وهو مدرس وصحفي وكاتب ومؤرخ ومترجم، وهو من أوائل المترجمين العرب الذين فتحوا عيون القارئ الغربي على الأدب الروسي وهو من أكثر

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
مخبر الشعرية الجزائرية
جامعة

المترجمين نشاطا في القرن العشرين، وقد ترجم مؤلفات تولستوي من الروسية إلى العربية بطريقة مباشرة، ومن بين تلك المؤلفات ثلاثية تولستوي" الطفولة"، "المراهقة"، "الشباب"، وكان عنوان الترجمة "مذهب تولستوي"، كما ترجم له "حكمة النبي محمد"، " محكمة جهنم"، كما ترجم مؤلفات روسية أخرى مثل:" أنشودة الحكيم" تأليف تورجنيف، " مصرع القيصر نيقولا" "قصص روسية" لبوشكين وجوركي وآخرين، وغيرها من المؤلفات ولا شك أن سليم قبعين قد قام بدور ثقافي وريادي حيث أسهم في تأسيس المثاقفة العربية الروسية في هذا العصر، وقد استفاد سليم قبعين من المراجع الروسية في إنشاء بحوثه المتعلقة بترجمة الأدب الروسي إلى العربية، ومن ثمة فإن بحوثه وترجماته قد زودت القارئ العربي بمعرفة كبار الكتاب الروس أمثال: ماكسيم جوركي وتولستوي وبوشكين، وغيرهم، فضلا عن تحليله للأدب الروسي، مما جعل القارئ العربي على صلة قوية به.

2- سامي الدروبي(1921-1976):

لما سأل المستشرق الروسي فلادمير كراتشكوفسكي طه حسين عن ترجمة سامي الدروبي للأعمال الكاملة لدوستويفسكي، قال:" لو أن دوستويفسكى كتب بالعربية لما كتب أجمل من ذلك" وهذه الترجمة تعد من أشهر الترجمات، وله ترجمات أخرى كتولستوي وبوشكين وميخائيل ليرمانتوف وغيرهم.

وقد ترجم كتبا فلسفية مثل:" تفكير كارل ماركس: نقد الدين والفلسفة" تأليف جان إيف كالفين، ترجمة بالاشتراك مع جمال الأناسي.

وهو لا يترجم إلا الأعمال التي يراها جديدة بالترجمة، وقد ترجم إبداعات مهمة لكتاب روس كبار فضلا عن الكتاب السابقين مثل: ليرمنتوف وتورغينيف وبكورولينكوف وقد بدأ بترجمة الأعمال الكاملة لتولستوي ولكنه توفى قبل أن يتم الجزأين الأخيرين من رواية" الحرب والسلام"، وأتم عمله المترجمة صياح الجهيم[6].

وهكذا فإن سامي الدروبي يكون قد قدم للقارئ العربي خدمة كبيرة في التعريف بالرواية الروسية، وتعد إنجازاته في هذا المضمار مآثر ثقافية عظيمة.[7]

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
مخبر الشعرية الجزائرية
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

مترجمون آخرون:

وقدمت دور النشر ترجمات مهمة عن الأدب الروسي مثل دار النشر السوفيتية "التقدم" ودار قوس قزح، وجلبت الداران مجموعة من الكتاب والمترجمين العرب الذين ترجموا الأدب الروسي إلى العربية من أمثال: مواهب كيالي، حسيب كيالى، وغائب طعمة فرمان، وخيري الضامن، وأبو بكر يوسف، وعبد الرحمان الخميسي وغيرهم من الأقطار العربية.[8]

وقد عمل مواهب الكيالي في إعداد البرامج في إذاعة موسكو، وقدم للعرب برامج عن كتاب روسيا العظام مثل: غوغول، بوشكين، ترلستوي، تورغينيفا وغيرهم، وترجم للأطفال العرب روائع الأدب الروسي، أما غائب طعمة فرمان وهو أديب عراقي فترجم نحو ثلاثين كتابا ومن تلك الترجمات:

- أعمال تورجينيف في خمسة مجلدات
- الفوارق لتولستوي.
- مجموعة قصص لدوستويفسكي.
- مجموعة أعمال لبوشكين، وغيرها من الترجمات.

أما خيري الضامن فقد ترجم رسائل دوستويفسكي في مجلدين، وهو مترجم قدير كان مقيما في موسكو وترجم ثلاث روايات لكافكا الروسي" اندرية بلاتونوف" إلى اللغة العربية.

وترجم أبوبكر يوسف وهو مترجم مصري من اللغة الروسية إلى اللغة العربية، وتخرج من جامعة موسكو، وتعرف القراء العرب على أعمال أنطون تنشيخوف عبر ترجماته.

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
مخبر الشعرية الجزائرية
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

أما عبد الرحمان جيلي وهو شاعر سوداني فقد ترجم الشعر من الروسية إلى العربية بأسلوب شيق، عمل محررا بجريدة أنباء موسكو ومراجعا بدار التقدم للنشر بموسكو، صدرت له مختارات من شعر الشاعر الكازاخي، ومختارات من شعر المقاومة السوفياتي.

تأثر أدباء روس بالحضارة العربية وبالإسلام:

1- أليكسندر بوشكين: هو شاعر روسي عظيم، أحب الشرق العربي، وتأثر بالتراث العربي الإسلامي، إلا أن الدراسات العربية لم تعن به العناية الكافية رغم التأثير العربي في نتاجه الأدبي، وقد تبوأت الثقافة الشرقية مكانة مرموقة لديه، وشغف بها أيما شغف حيث كان يتابع كتابات الرحالة الروس عن الشرق العربي، وتأثر بوشكين برائعة ألف ليلة وليلة في قصته الشعرية" روسلان ولودميلا" تأثرا بارزا، وتعرف عليها من خلال الترجمات، وقد استلهم بوشكين قصته من خلال قصة" المارد والصبية" في ألف ليلة وليلة فأحداث قصته تتشابه مع أحداث ومغامرات ألف ليلة وليلة[9].

كما تأثر بوشكين في شعره الغزلي بالشعر العذري العربي الذي يلتزم الطهر والعفاف ويعتري المحب الإحساس باللوعة والعذاب بسبب إعراض المحبوب، وله قصيدة بعنوان "الرسول" تأثر بها بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، لما نزل عليه جبريل يقول في تلك القصيدة:

فظهر لنا في مفترق الطريق سارا فيم .

ذو الأجنحة الستة وبأصابع خفيفة

مثلما في الحلم لمس قرة عيني:

فانفجرت مقلتاي النبويتان، كأنهما

عينا نسر مذعور

فهو في هذا المقطع يتخيل صورة جبريل من خلال الآية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ القرآن الكريم برواية ورش الآية رقم (1)، وقد ذكر ابن مسعود أن رسول الله رأى جبريل بستمائة جناح منها ما سد الأفق، وتتقاطع الصورة الشعرية لجبريل بستة أجنحة مع وصف ابن مسعود[10].

2/ تأثر تولستوي بالإسلام:

تأثر تولستوي بالإسلام، فقد امتلأت روايته "الحاج مراد" وهو قائد شيشاني بالصور الإسلامية فكانت أول كلمات القائد " السلام عليكم" ولما عاد القائد من حربه مع الروس كان فرسانه يرددون مع إطلاق النار، وقد امتدح تولستوي صدق المسلمين في إحدى رسائله، ولا شك أن المتتبع لأدب تولستوي يلحظ أن شعوب الشرق لها مساحة كبيرة في أدبه حيث بدأ اهتمامه بالشرق منذ السباب المبكر ولا شك أن اختياره اللغتين العربية والتركية تخصص للمستقبل يدل على شدة اهتمامه بأثر الشرق، وقد ترجم أحاديث الرسول الكريم إلى اللغة الروسية، وعرف بالفكر القرآني، وقد وجد صدى لأفكار التي يؤمن بها في تعاليم الإسلام لذلك كان يعرف بالإسلام، وله كتيب بعنوان "أحاديث مأثورة لمحمد" ويشمل هذا الكتيب مجموعة أحاديث نبوية انتقاها بنفسه ترجمها إلى الروسية وراجعها وقدم لها.

3/ تأثر إيفان بونين بالعرب والإسلام

يعد الشاعر بونين من أكثر الأدباء الروس تأثرًا بالشرق، وقد اهتم بالحضارة العربية الإسلامية القديمة، وطاف بونين بالكثير من بلدان الشرق، وكان يمتلك جاذبية موروثه تجاه الشرق كما قال عنه الأديب الكبير مكسيم جوركي حيث طاف بمصر

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
مخبر الشعرية الجزائرية
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

وفلسطين والأردن وسوريا ولبنان والجزائر، ومن بين المواضيع التي تناولها قصيدته "محمد مطارد" التي يبين فيها معاناه الرسول في تبليغ الرسالة يقول:

حلقت الأرواح فوق الصحراء في الغسق

فوق الوادي الحجري، ودوت

كلماته.. الجزعة، مثل ينبوع نسيه

الله، وعلى الرمل حاف، بصدر

مكشوف كان يجلس ويتكلم في

حزن: "وليت وجه الصحراء والقفر

عزلت عن الجميع، من أحبهم قالت

الأرواح: لا يجدر لرسول أن يكون

ضعيفا متعبا. والرسول في حزن

وسكينة أجاب: كنت أشكو للحجر

فهو في هذه القصيدة يصور خروج الرسول الكريم من مكة مهاجرا إلى المدينة والملائكة تحرسه وتسانده وتشد من أزره، ويصور أيضا ذلك القلق الذي ينتابه في تبليغ دعوته، ولعل القصيدة مستلهمة من قوله تعالى:﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ القرآن الكريم برواية روش، سورة التوبة الآية 40-41، وفي القصيدة وصف للصحراء الوادي الحجر، الرحل، الينابيع[11].

تأثر الأدباء العرب بالأدب الروسي:

1- مخائيل نعيمة(1888-1988)

غرف مخائيل نعيمة من الأدب الروسي منذ المرحلة الابتدائية، حيث درس في مدرسة ابتدائية روسية افتتحت في قريته (بسكنتا) التي كان الهدف منها نشر الثقافة الروسية في الشرق، ثم تابع دراسته في روسيا، فتركت تلك الثقافة أثرا كبيرا في أدب مخائيل نعيمة، وقرأ لأدباء روس كبار مثل: بوكشين و ليرمنتوف و غوغول وغيرهم.

وقد ذكر مخائيل نعيمة أن أسعد لحظات حياته كانت عند وصوله إلى روسيا، وسرد في كتابه "أبعد من موسكو ومن واشنطن" ثمرة الأيام التي أمضاها في روسيا، وكتب هذا الكتاب عن روايات دوستويفسكي، وليف تولستوي:" وتحسست إيمان دوستويفسكي بالأمة السلافية ورسالتها الإنسانية، وبمستقبل أفضل لروسيا، تتقلم فيه أظافر الظلم والاستبداد، وتنكسر أنياب الحاجة والمذلة فيتنفس الشعب ملء رئتيه..."[12].

وكتب مخائيل نعيمة في مقالته الموسومة" ماهية الأدب ومهمته"، وهي منشورة في مجموعة "دروب"، وصدرت عام 1932م" ولو أن جيشا من رجال الدين، وعلماء النفس، وأساتذة الاجتماع، وأساطين القانون تجمعوا معا لما استطاعوا أن يؤلفوا لنا رواية، كرواية دوستويفسكي"الأخوة كارامازوف"، ففي هذه الرواية ترتفع مع الأب "روسيما" إلى درجة الإشراق الروحي، والانخطاف بنور الألوهية، وتنحدر مع سمير دياكوف إلى الحالة البهيمية[13]، وتأثر مخائيل نعيمة برواية تورجينف،" الآباء والبنون" .

في مسرحية مخائيل التي كانت بنفس العنوان" الآباء و البنون"، وهناك تشابه كبير في الأفكار بين مسرحية ميخائيل نعيمة ورواية تورجينف.

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
مخبر الشعرية الجزائرية

2/ جبران خليل جبران: (1883_1931)

كان رئيسا للرابطة القلمية في نيويورك، وهو شاعر وكاتب ورسام لبناني ولد بمدينة بشرى، وتعرف على الأدب الروسي من خلال اللغة الإنجليزية التي أتقنها وكتب الكثير من مؤلفاته بهذه اللغة، وكان للأدب الروسي قيمة عظمى لديه، وكتب عنه صديقه مخائيل نعيمة في كتابه "جبران خليل جبران": "وعندما جئنا على ذكر الأدب الروسي أدهشني جبران بقوله إنه من المعجبين به، ولا سيما بتورغينيف، وتولستوي ودوستويفسكي، وبالأخير بنوع خاص، مع أن روحه تناقض روح نيتشه على خط مستقيم، غير أني اشتممت من كلامه الإجمالي عن هؤلاء الكتاب المشاهير أنه قرأ عنهم ولم يقرأ لهم، ولعله أحب أن يجاملني فيجاريني في إعجابي بدوستويفسكي عندما رآني أضعه فوق كل كتاب الزمان الأخير بدون استثناء"[14]، ولا غرابة في كون فهم جبران خليل جبران للحياة يشبه إلى حد كبير فهم ليف تولستوي، غير أنهما لا يتطابقان، فهما يريان أن عبادة الله تتلخص في المحبة وخدمة الآخرين، ويتجلى ذلك في كتابه "النبي" ويتفق مع تولستوي في الإيمان بالعدالة الاجتماعية، وبذل الكثير لمساعدة الفقراء البائسين، ورواية جبران " الأجنحة المتكسرة " التي ترجمت للغة الروسية فيها التنديد بالظلم، وترمز فيها سلوى كرامي إلى الأمة المظلومة، أما منصور فيرمز إلى الإقطاعيين الذين يفتكون بالضحية ويمتصون دمها، وهذه الأفكار يوجد مثلها في كتاب تولستوي" الكنيسة والدولة" حيث يدين في هذا الكتاب نابليون بونابرت، الذي قتل الآلاف سعيا وراء الحصول على مجده الخاص.

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
مخبر الشعرية الجزائرية
جامعة محمد خيضر بسكرة

3/ محمد عياد الطنطاوي (1810_1861)

كان محمد عياد الطنطاوي أول عربي يشغل كرسي اللغة العربية في جامعة بطرسبورغ منذ تأسيسها سنة (1819)، تخرج من الأزهر ورحل إلى روسيا وانضم إلى المدرسة الشرقية[15].

تم على يد الشيخ الطنطاوي تخريج عدد كبير من المستعمرين الروس الذين كانوا الأساس في تكوين مدرسة الاستعراب الكلاسيكية، وتتلمذ على الطنطاوي المستعرب "نيكولا موخن " وغيره، واحتفل به الإعلام الروسي حين قدم إلى بطرسبوغ، وكتبت عنه مقالة عرفت شخصيته بعنوان " أخبار سانت بطرسبورغ " في 22 أوت عام 1840م، وجاء في تلك الصحيفة تسألني عن هذا الرجل الوسيم في حلته الشرقية وعمامته البيضاء ولحيته السوداء كالقطران، وعيونه الحية المنقدة شررا ووجهه المعبر الذكي المحترق لا بشمسنا الشمالية الباهتة، الآن تستطيعون تماما أن تتعلموا التحدث بالعربية دون أن تسافروا من بطرسبورغ"[16].

وللطنطاوي العديد من المؤلفات في مكتبه المخطوطات بجامعة بطرسبورغ، ومن تلك المخطوطات: نظم تصريف الزنجاني، تقييدات على شرح الأزهرية، حاشية الكافي في العروض والقوافي، نبذة عن تاريخ العرب وغيرها من المخطوطات، وكانت المخطوطات تؤرخ لأحداث مختلفة عايشها أثناء فترة وجوده بروسيا مثل: تاريخ خمس وعشرين سنة من تتويج أبهة قيصر روسيا نيقولا الأول، تاريخ جلوس أبهة القيصر إسكندر الثاني على تخت روسيا، وغير ذلك، وألف كتابا وصف فيه روسيا وأهداه إلى السلطان عبد المجيد وعنونه" تحفة أولى الألباب في أخبار بلاد روسيا"، وتناول فيه وصف رحلته إلى روسيا من القاهرة إلى بطرسبورغ، وذكر انطباعاته في السنوات العشر الأولى التي قضاها في روسيا وقد سبق الطنطاوي مؤلف آخر في وصف روسيا وهو

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
مخبر الشعرية الجزائرية
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

البطريرك مكاريوس الأنطاكي في كتاب له بعنوان" وصف روسيا"، وصف رحلته من سوريا إلى روسيا والعودة منها والإقامة فيها[17] .كان الطنطاوي أهم شخصية علمية عربية وفي روسيا في القرن التاسع عشر أثرت تأثيرا كبيرا في الاستعراب الروسي، ونال وسام القديسة" حنة" تلقاء جهوده في الاستعراب الروسي[18].

جرجي مرقس الدمشقي: (1844-1911)

هو أول عربي يصبح رئيسا لقسم اللغة العربية في موسكو، ومن أهم أعماله ترجمته المخطوطة" رحلة مكاريوس الأنطاكي إلى روسيا" ترجمة قيم العربية إلى اللغة الروسية وعدد صفحاتها 555 صفحة وهي أول مخطوطة ترجمت من اللغة العربية مباشرة إلى اللغة الروسية وكان ذلك سنة 1900م، ولم يتعرف الروسيون على هذه المخطوطة إلا من خلال الترجمة التي قام بها مرقس الدمشقي[19].

الاستشراق الروسي:

قام العلماء والباحثون الروس بفهم آداب الشعوب العربية الإسلامية، ودراسة حضارتها العربية الإسلامية، ومن خلال الاستعراب تكونت في وعي الشعب الروسي الشخصية العربية، واستفسر القيصر فلاديمير المقدس رسله إلى المشرق عن الأديان ليكون أحدها دينا للدولة إلا أنه حسب المستعربة فرالوفا أن السبب في عدم اختيار القصر للإسلام كان بسبب تحريمه للخمر، وتعرفت روسيا على الشرق العربي المسلم عن طريق الحجاج المسحيين إلى بيت المقدس ومن خلال الرحلات التجارية، وهذه الرحلات لم تختلف عن رحلات التجار الغربيين الأوائل إلى المشرق العربي وقام التاجر الروسي " أفاناس " برحلة دامت طويلا زار فيها البلاد العربية، ومكث فترة في بلاد فارس والهند، وألف كتابا عن هذه الرحلة عنونه " الرحلة إلى الأراضي الواقعة وراء ثلاثة بحور " .

كانت هناك مدرستان للاستعراب مختلفتان، الأولى أنشأتها الوزارة الخارجية الروسية، وأسهمت هذه المدرسة في خدمة المصالح السياسية الروسية الخارجية، أما المدرسة الثانية فقد حملت الطابع العلمي المعرفي الخالص، وهذه المدرسة مازالت في بطرسبورغ.

وقد استعان القيصر بطرس بالخبرات الغربية في الشرق العربي من أجل الإصلاحات في السياسة والعلوم والجيش ومختلف ميادين الحياة في روسيا.

وكان من أهم المستعربين في روسيا (كراتشكوفسكي): (1883-1951) الذي ترك أثرا عظيما في الأدب العربي، ودرس العربية والإسلام بعمق، وقام برحلة إلى كل من مصر وسوريا، وخالط الكتاب العرب كأمين الريحاني، وجرجي زيدان وأحمد تيمور باشا وغيرهم، ويقول عن الاستعراب الروسي، العصر الجديد في الاستعراب الروسي يبدأ من المرسوم الجامعي سنة 1804 لأن هذا المرسوم أدخل تدريس اللغات الشرقية في المدارس العليا، وأسس الأقسام الخاصة لهذه اللغات الشرقية في أروبا الغربية في ذلك الزمان، فقد كانت المكانة الأولى بين اللغات السامية اللغة العبرية، أما عندنا في روسيا، فاللغات الشرقية في مفهوم الروس، فكانت لغات الشرق الإسلامي، وشغلت اللغة العربية المكانة الأولى، وقد أنشأ قسم اللغة العربية في جامعة خاركوف بعد صدور المرسوم في عام 1804م مباشرة"[20] .

وقد أكب كراتشكوفسكي على دراسة كتاب " نحو اللغة العربية " تأليف دي ساسي، وأخذ يتعلم اللغة العربية بنفسه دون معلم، وقد درس ديوان الأخطل" في بحث بعنوان" الخمر في فصائد الأخطل"، كما درس شعر أبي العتاهية، والمتنبي[21].

وكان له اهتمام بالغ بالجغرافيا العربية، وهذا ما أهله ليكون أنسب شخص للقيام بذلك العمل الجبار المتمثل في كتابه" علم الجغرافيا في الإسلام"[22]، وأوقف

كراتشكوفسكي معظم أعماله وآثاره العلمية للآداب العربية، وخدمتها واهتم أساسا بالمخطوطات العربية والكشف عنها وتحقيقها، وكان له الفصل في اكتشاف مخطوط" المنازل والديار" للأمير السوري أسامة بن المنقذ وكذلك" رسالة الملائكة" الأدبي لأبي علاء المعري، ونشر كتاب" البديع" لابن المعتز.

ويمكن تصنيف كتاب كراتشكوفسكي إلى الأبواب التالية:

1- نشر النصوص العربية القديمة.

2- ترجمات لنصوص عربية قديمة.

3- مع المخطوطات العربية

4- تاريخ التأليف في الجغرافيا عند العرب.

مصادر الاستشراق الروسي:

استقى المستعربون الروس معرفتهم من خلال مصادر متنوعة وهي:

1- التجار والرحالة والحجاج المسيحين الوافدين إلى بيت المقدس.

2- المعرفة المباشرة للشعوب الإسلامية الواقعة ضمن الدولة الروسية.

3- العلماء الباحثون من الروس والعرب على حد سواء من أولئك الذين رحلوا إلى البلاد العربية أو العرب الذين قدموا إلى روسيا لأسباب سياسية وعلمية.

4- المخطوطات التي انتقلت إلى خزائن المكتبات الروسية، وكانت التاريخ الحضاري للثقافة العربية الإسلامية.

5- العلاقة بين الكنيسة الروسية الأرثوذكسية مع الكنائس الأرثوذكسية في الشرق العربي فلسطين، ولبنان، وغيرها، وكذلك المدارس الروسية التي كانت لها علاقة بالكنائس.

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
مخبر
الشعرية الجزائرية
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

بعض المستعربين الروس وترجمة القرآن:

تمت أول ترجمة للقرآن الكريم في عهد القيصر بطرس الأكبر عام 1716م، إلى اللغة الروسية وقام بهذه الترجمة بيوتر بوستينكوف عن اللغة الفرنسية، أما أول ترجمة من اللغة العربية إلى اللغة الروسية للقرآن الكريم هي ترجمة سابلوكوف عام 1643م، وكان يتقن اللغة العربية وإتقانا كبيرا، وقام كراتشكوفسكي بترجمة أخرى للقرآن من العربية مباشرة إلى الروسية عام 1963م.

دوافع الاستشراق الروسي:

من أهم الدوافع للاستشراق الروسي:

1- العداوة المتوارثة بين روسيا وتركيا دولة الخلافة الإسلامية، حيث كانت الحروب متوالية بينهما.

2- خوف روسيا من ثورة الشعوب الإسلامية الواقعة تحت احتلالها.

3- أطماع روسيا التوسعية للاستيلاء على المناطق الغنية المجاورة لها.

4- السعي لكسب تأييد العالم الإسلامي لسياسة روسيا.

الخاتمة:

إن أهم نتيجة نتوصل إليها من خلال البحث هو أن الاستعراب الروسي يشكل أهمية قصوى في تغلغل اللغة العربية في تلك الشعوب التي تمثل الشعوب الروسية المختلفة، وازدهرت المعارف من خلال ما ألف من كتب وترجمات من الطرفين، وظهرت الصورة الإيجابية للعلماء المسلمين في تعاملهم مع العلماء والدارسين في روسيا، أما المكتبات في روسيا التي تزخر بالكتب المتعلقة بالثقافة العربية الإسلامية وبالعلوم العربية فهي ميدان رحب للتواصل مع الفكر العربي من خلال تلك الكتب والمخطوطات التي نقلت للغة الروسية.

وهذه النتيجة تنجم عنها فوائد جمة في خدمة اللغة العربية انطلاقا من الكتب المؤلفة أو من المكتبات الجامعية التي تزخر بالمعارف العربية والإسلامية .

الهوامش:

---

[1]– مكارم الغمري: مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، مجلة عالم المعرفة، ع 155، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، نوفمبر، 1991، ص25.

[2]– عدنان جاموس: ترجمة الرواية الروسية إلى العربية الماضي والحاضر، مجلة الآداب العالمية، ع 135، 2008، اتحاد الكتاب العرب، ص194، 195.

[3]– مكارم الغمري. مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، ص 25.

[4] – ممدوح أبو الواي: محطات في تاريخ الترجمة العربية، مجلة الموقف الأدبي، ع360، أفريل، 2001، اتحاد الكتاب العرب ، ص120.

[5] – إدوارد سعيد: تعقيبات على الاستشراف، تر: صبحي حديدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1996، ص1.

[6]– عدنان جاموس: ترجمة الرواية الروسية إلى العربية، ص205.

[7] – نفسه، ص205.

[8] – نفسه، ص210.

[9] مكارم الغمري: مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، ص76.

[10] مكارم الغمري: مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، ص108.

[11]مكارم الغمري: مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، ص207.

[12]– نعيمة مخائيل: أبعد من موسكو ومن واشنطن، المؤلفات الكاملة، مج6، بيروت، 1972، ص201.

[13] – نعيمة مخائيل: دروب ماهية الأدب ومهمته، المؤلفات الكاملة، مج6، دار العلم للملايين، بيروت، 1972، ص34.

[14] – نعيمة مخائيل: جبران خليل جبران، مج3، دار العلم للملايين، بيروت، 1960، ص 140.

[15]– محمد عيسى صالحية: رحلة الشيخ الطنطاوي إلى البلاد الروسية، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت،1996، ص14.

[16]– كراتشكوفسكي: مع المخطوطات العربية، تر: محمد منير مرسي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1969، ص143.

[17]– فاطمة عبد الفتاح: إضاءات على الإستشراق الروسي، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000، ص37، 38.

[18]– نفسه، ص37، 38.

19- فاطمة عبد الفتاح: إضاءات على الإستشراق الروسي ، ص222.

20- فاطمة عبد الفتاح: إضاءات على الإستشراق الروسي، ص14.

21- عبد الرحمان بدوي: موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين بيروت، ط3، 1993، ص469،468.

22- كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، جامعة الدول العربية، ص5.

قائمة المصادر والمراجع:

1/ مكارم الغمري: مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، مجلة عالم المعرفة، ع155، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، نوفمبر 1991.

2/ عدنان جاموس: ترجمة الرواية الروسية إلى العربية الماضي والحاضر، مجلة الآداب العالمية، ع.135، 2008، اتحاد الكتاب العرب.

3/ ممدوح أبو الواي: محطات في تاريخ الترجمة العربية، مجلة الموقف الأدبي، ع360، أفريل، 2001، اتحاد الكتاب العرب.

4/ إدوارد سعيد: تعقيبات على الاستشراف، تر: صبحي حديدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1996.

5/ نعيمة مخائيل: أبعد من موسكو ومن واشنطن، المؤلفات الكاملة، مج6، بيروت، 1972.

6/ نعيمة مخائيل: دروب ماهية الأدب ومهمته، المؤلفات الكاملة، مج6، دار العلم للملايين، بيروت، 1972.

7/ نعيمة مخائيل: جبران خليل جبران، مج3، دار العلم للملايين، بيروت، 1960.

8/ محمد عيسى صالحية: رحلة الشيخ الطنطاوي إلى البلاد الروسية، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت،1996.

9/ كراتشكوفسكي: مع المخطوطات العربية، تر: محمد منير مرسي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1969.

10/ فاطمة عبد الفتاح: إضاءات على الإستشراق الروسي، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000.

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
مخبر
السفرية الجزائرية
جامعة قاصدي مرباح بالمسيلة

11/ عبد الرحمان بدوي: موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين بيروت، ط3، 1993.

12/ كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، جامعة الدول العربية.